مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 04 العدد: 02 سبتمبر 2021 ص ص: 341-362
ر ت م د (ISSN): 2602-618X /ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

الجدل الفكري في الأندلس (ق 4-6هـ / 10-12م)

بين مرحلية التّوسع ومجال التّنوع

The intellectual arguing in Andalusia (4-6 AH/10-12 AD) between the stage of expansion and the field of diversity

ط.د. صابة محمد[1]♦، شرف عبد الحق [2]

مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا؛ جامعة ابن خلدون -تيارت

[1]Saba.mohammed63@gmail.com

[2]abdelhak.cheref@univ-tiaret.dz

تاريخ الإرسال: 30/ 05/ 2021 تاريخ القبول: 27/ 07 / 2021 تاريخ النشر: 2021/09/30

الملخص باللغة العربية:

عرفت بلاد الأندلس خلال القرن (4 -6هـ/10-12م) ظاهرة الجدل الفكري بأنواعه الثلاثة، فقهي، عقدي(كلامي) وفلسفي. وقد مرّ هذا الجدل بدوائر ومراحل ثلاثة، من دائرة جدل فقه الفروع بسيط المسائل والوسائل إلى دائرة جدل الأصول متجدّد المسائل والوسائل في النصف الثاني من القرن الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشرة الملاديين. فقد مسّ جدل الأصول مصادر التشريع الإسلامي كالقياس والإستحسان، وحجية عمل أهل المدينة والمصالح المرسلة وغيرها من المصادر التي ظلت إلى عهد قريب شديدة المِحَالِ، ومن المحرمات التي لا يُسمح بالإقتراب منها فكيف الجدال فيها؟ فأضحت كلّها مجالا للتشريح والتجريح بين المذاهب الفقية الإسلامية، خاصة بين مالكية وظاهرية الأندلس.

عرف هذا النوع من الجدل قمّة نشاطه خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشرة الميلادي، بفضل إقحام علم الكلام والمنطق إضافة إلى تسامح السلطة السياسية على عهد ملوك الطوائف. إن توسع دائرة الجدل الفقهي من فروعي إلى أصولي إنعكس إيجابا على ظاهرة الجدل، فتوسّعت دائرته إلى جدل عقدي بين مختلف التيّارات الكلامية المتقاطرة على بلاد الأندلس، فأضحى الجدل أوسع وأعقد من حيث مسائله ووسائله،

♦ صابة محمد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمسّ الجدل الذات العليّة من حيث الصفات والأسماء ومسائل القضاء والقدر، واشتدّ هذا النوع من الجدل بين أهل السنّة والجماعة والمخالفين من العقائد الإسلاميةالأخرى.

عرف هذا النوع من الجدل بالأندلس قمّته طوال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشرة الميلادي لينعكس إيجابا على الجدل الذي توسّعت دائرته إلى جدل فلسفي قلّ نظيره خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشرة الميلادي. فقد مسّ هذا الجدل جوهر العقيدة الإسلامية وأصلها، واشتّد حول العلاقة بين الشريعة والحكمة (الفلسفة)،فجمع هذا الجدل بين فلاسفة المغرب والمشرق.

الكلمات المفتاحية: الجدل؛ الفقه؛ علم الكلام؛ الفلسفة؛ الأندلس.

Abstract:During the (4-6 AH/10-20 AD) , Andalusia has known the phenomenon of intellectual controversy with its three types, jurisprudential, doctrinal (verbal) and philosophical. In the second half of the 4th and 5th centuries AH / 10th and 11thc AD, this arguing went through three aspects and stages, from the controversy of jurisprudence branches debate aspect to a fundamentalist arguing one.

The fundamentalist controversy touched the sources of Islamic legislation, such as analogy, authenticity of the works of the Medina people, the interests sent, and other sources that have remained, until recently, taboo, which are not to be approached, let alone be argued. Hence, they became a field for dissection and defamation among religious doctrines specifically between the Maliki and the Andalusian Dhahiri schools.

In fact, this type of controversy has reached its peak during the 5th century HA/11th AD,. The debate, therefore became harder and more complex in terms of its issues and methods between Sunnis and the community and those other opponents from other religious sects.

This type of controversy was at its peak in Andalusia throughout the fifth century AH / eleventh century AD, as it reflected positively on the controversial debate that expanded its circle into a philosophical one, which was not as well-known and appreciated during the 6th century AH / 12th century AD. It touched both the essence and origin of Islamic faith, and so, this controversial debate intensified concerning the relationship between Sharia and wisdom

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(philosophy), bringing together the philosophers of the Maghreb and the East.

Key words: controversy; analogy; theology; philosophy; Andalusia.

مقدمة:

عرفت بلاد الأندلس ظاهرة الجدل والذي عرّفه ابن خلدون على أنّه: "... معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنّه لما كان باب المناظرة في الرّد والقبول متّسعا، كل واحد من المتناظرين في الإستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابا، ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظرين عند حدودها في الرّد والقبول وكيف يكون الإستدلال وكيف يكون مخصوصا منطقيا، ومحل اعتراضها ومعارضته، وأين يجب السكوت ولخصمه الإستدلال". [1] وعرّفه ابن حزم أنه:" إخبار كل واحد من المختلفين بحجة أو بما يقدّر أنه حجّة وقد يكون أحدهما محقّا والآخر مبطلا إمّا في لفظه وإما في مراده أو في كليهما ولا سبيل أن يكون كليهما محقّين في ألفاظهما ومعانيهما".[2] وعرّفه الباجي:" هذا علم من أرفع العلوم قدرا، وأعظمها شأنا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولا عُلم الصحيح من السقيم ولا المُعوج من المستقيم".[3] فقد عرف الجدل توسعا وتنوّعا خلال مراحل ثلاثة، فلم يكن ممكنا للجدل الفكري أن يستمر ويتنوع لولا جملة من الظّروف السياسية والثّقافية التي كانت من العوامل المساعدة والدافعة نحو التنوّع الجدلي . فقد ظل الجدل في بلاد الأندلس إلى غاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي محدودا قاصرا، عكس ما كان عليه الحال في بلاد المشرق الإسلامي. فما هي جذور الجدل في الأندلس ؟وما هي عوامل توسّعه وتنوعه ؟ وأهم مسائله ؟.

1- جذور الجدل في الأندلس: لم تعرف بلاد الأندلس الجدل في العقود الأولى من الفتح الإسلامي، وذلك راجع لانشغال المسلمين بمهمّة توطيد السّلطة الإسلامية، ولعدم اتّساع

1- ابن خلدون :عبد الرحمان بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الواحد وافي، إشراف داليا محمد إبراهيم، دار النهضة، مصر للنشر، طبعة جديدة ومنقحة، ط9، 2013م، ج3، الهامش، ص: 565.

2-ابن حزم: أبو محمّد علي بن محمّد ، الإحكام في أصول الأحكام، ج1، تحقيق: محمّد شاكر، دت، دط، ص:44.

3- الباجي:أبو الوليد، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م، ط2، ص: 8.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معرفة الإسبان باللغة العربية، معرفة تخولهم التّعرف على الفكر الإسلامي[4].وإذا كان فنّ المناظرة والجدل قد عرف ولادته في الشرق، فإنه تطور في الأندلس، باعتبار سياق تاريخي وجغرافي، بموقعها الجغراقي المنعزل ومجاورتها للنّصارى الذّين كانوا دائم التربص بها، ممّا جعلها في حاجة ماسّة للمجابهة ومقاومة كلّ أشكال التّنصير. فكان الجدل والمناظرة من وسائل المجابهة وردّ الشّبهات[5].

فقد شهدت الفترة الممتدّة من القرن الرّابع إلى السّابع الهجريين/العاشر والثّالث عشرةالميلاديين، ازدهارا في البحث الجدلي[6]، لأنها صادفت مرحلة إرساءالمذاهب الفقهية، وظهور المدارس الكلامية، وإنتصار كل مذهب لرأيه. فقد عرف الجدل في مراحله الأولى حتى عهد الدولة الأموية بالضعف، ذلك أنّ الأندلس كانت خاضعة لحكم بني أميّة، والتي أنتهجت سياسة المذهب الواحد، حيث هيمنة المذهب المالكي، وحيثما انفرد مذهب قلّ الخلاف وضعف الجدل.

2- المرحلةالأولى: (ق 4 وبداية ق 5هـ/10-11م) جدل فقهي محدود:

عرفت هذه المرحلة من تاريخ الجدل بالأندلس، اكتساح الجدل الفقهي والذّي عرّفه أصحاب الجدل الفقهي ؛ بأنه جدل في أصول الفقه، قال الطوفي[7]:" واعرف أنّ مادّة الجدل أصول الفقه من حيث هي، إذ نسبته إليها نسبة معرفة نظم الشعر إلى أصل اللّغة، فالجدل إذن أصول فقه خاص، فهي تلزم الجدل وهو لا يلزمها، لأنه أعمّ منه وهو أخصّ منها، وموضوعه أعني الجدل هو الأدلّة من جهة ما يُبحث فيه عن كيفية نظمها

4- آسية الكنوني، مدخل إلى المناظرات الدّينية بالغرب الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص: 12.

BIBLID.113.8571723.2016.59.60.

5- نفسه، ص:60

6- مسعودالفلوسي، الجدل عند الأصوليين، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2000م، ص: 59.

7-الطوفي: هو سليمان بن عبد القوي نجم الدين الطوفي المتوفي سنة 716هـ/1316م، ولد في قرية طوفي وهي على مسافة فرسخين من بغداد، سافر إلى دمشق، لقي الشيخ تقي الدين ابن تيمية من مؤلفاته"مختصر الروضة" أي"روضة الناظر وجنة المناظر". ينظر: الطوفي: سليمان بن عبد القوي نجم الدين، علم الجدل في علم الجذل، ج32، تحقيق: قولفهارت، دار النشر فرانز شتاينر بمساعدة= =مؤسسة الأبحاث العلمية الألمانية، بيروت، مطبعة كتابكم، عمان، الأردن، 1408هـ/1978م، دط، مقدمة المحقق، ص ص: ط-يد-يه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وترتيبها على وجه يوصل إلى إظهار الدعوى وانقطاع الخصم"[8]. فعلم الجدل فرع من فروع الفقه وهو خادم له، لأنّنا إذا اعتبرنا الأصول هي الأدلّة، والفقه هو الأحكام، كان الجدل رابطة الأدلّة بالمدلول كالمتوسط بينهما[9]. فالجدل يبقى الرابط والوسيط في عرض أدلّة الإستدلال الفقهي من خلال أصول المذهب.

إن القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، سيطر عليه الجدل الفقهي، فهو سمة القرن حيث سيطرة الجدل الفقهي أكثر من غيره. ويمكن الجزم أنّه قرن الجدل الفقهي بامتياز، حيث سيطر المذهب المالكي وعمّ كل بلاد المغرب الإسلامي. وخلال هذا القرن تمّ إدخال موطإ مالك، وخلاله استمرّت صياغة أصول المذهب وفروعه .

بدأ الجدل الفقهي ضعيف الظهور، بعد أن اعترض فقهاء المالكية تطوره على مستوى الجدل الأصولي، فظلّ الجدل الفقهي في الأندلس في القرون الأولى وعلى الأخص الثّالث والرّابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، على وفرته مرتبطا بالمذهب المالكي، واقتصر مجاله خلال فترة القرن4هـ/10م على جدل الفروع ومسائله بعيدا عن الجدل العالي، "فانكب طلاب العلم على كتب الفروع والمسائل، إلا أنهم لم ينالوا من فنّ الجدل نصيبا وكُلّلوا بالفشل كلّما خاضوا مناظرة خاصة مع الظّاهرية"[10].

فالجدل الفقهي الدائر يومها بين مالكية وظاهرية الأندلس، مسّ أساسا مصادر التّشريع عند أهل السنّة والجماعة ومنه انتقل الجدال من جدل فروع إلى جدال شمل الأصول من قياس واستحسان وعمل حجية أهل المدينة، فاحتاج ذلك كلّه مِراسا ومعرفة بفنون الجدل ومجالاته في وقت لم يكن أغلب فقهاء مالكية الأندلس على دراية به.

فالجدل الفقهي في حقيقته جدالا أصوليا، وكان من الخطأ قصره على الخلافيات التي هي منطلقاته، فإنّه كما أدّت الخلافيات إلى نشأة المذاهب، فإن أصولها أيضا صارت لها مذاهب، إلا أن كثيرا من الخلاف الأصولي لا يرجع كما هو حال الخلافيات إلى الأقوال الفقهية المختلفة، وإنما يرجع إلى التفاوت في إعمال الأدلّة الأصولية وترتيبها، لأن مبادئ

8-الطوفي: سليمان بنعبد القوي نجم الدين الحنبلي، علم الجدل في علم الجذل، المصدر السابق، ص4. ينظر: خالد ترغي، المناظرة الفقهية من منطق الجدل إلى منطق الحوار، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2017م، ص: 58.

9- الغزالي: أبو حامد، المنتخل في الجدل، قدّم له وحقّقه وخرّج نصّه: علي بن عبد الله العزيز بن علي العميريني، جامعة الملك سعود، كليّة التربية، دار الوراق، 1424هـ/2004م، ط1، ص: 310.

10- عبد المجيد تركي، مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية، المرجع السابق، ص: 58.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفقه في الأصل مصدرها واحد: علم الصحابة والتابعين[11]. فإعمال الإستدلال الفقهي يبقى الفيصل في تثبيت الحكم الفقهي أو عدم الأخذ به.

ممّا سبق ندرك أن الجدل الفقهي بالأندلس شكّل أداة تمحيص ومرجعية لتنقيح الثّروة الفقهية بعد استقرار المذاهب بها، وذلك بعد ما جمعت هذه الثّروة في المؤلفات والدواوين، الأمر الذي أحدث الإعتراض عند بعض الفقهاء، سواء على المسائل أو الروايات أو حول الأصول ممّا نشّط حركة الجدل والمناظرة بين هؤلاء الفقهاء من مختلف المذاهب الفقهية وبالأخص بين فقهاء المالكية والظّاهرية، فمثّل ذلك نقلة نوعية في طبيعة الجدل من جدل فروع إلى جدل متجدّد الوسائل، أو ما يعرف بجدل الأصول أو الجدل العالي من خلال دمج وسائل المنطق وعلم الكلام في مثل هذا النوع من الجدل .

2- 1- أسباب تأخر جدل الأصول:

2.1.1- موقف السلطة السياسية من المذاهب الفقهية:

كان موقف السلطة الأموية صريحا في اعتراض أي تواجد لمذاهب فقهية مخالفة للمذهب المالكي. فهاهو المستنصر[12] يقول في بعض رسائله :" فمن خالف مذهب مالك بن أنس-رحمه الله- بالفتوى وبلغنا خبره أنزلنا به ما يستحقه... وقد اختبرت فيما رأيت من الكتب أنّ مذهب مالك وأصحابه أفضل المذاهب... ولم أر في أصحابه ولا فيمن تقلّد بمذهبه غير معتقد للسنّة والجماعة"[13]. وهذا النّص يؤكد التأييد القوي والمطلق من السلطة القائمة يومها للمذهب المالكي دون غيره من المذاهب الفقهية.
1.1- سيطرة المذهب المالكي وتوسّع تواجده بالأندلس وغياب المذاهب المخالفة: يرى

11- خالد ترغي، المناظرات الفقهية من منطق الجدل إلى منطق الحوار، المرجع السابق، ص: 60.
12- المستنصر: هو المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمان ولى الحكم يوم الخميس لثلاث خلون من شهر رمضان سنة(350هـ/961م) (ت:366هـ/977م)، كانت خلافته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر. ينظر: ابن الفرضي: عبد الله بن محمّد، تاريخ علماء الأندلس، ج1، تحقيق: بشارعواد معروف، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1429هـ /2008م، ط1، ص: 415.
13- ابن سهل: أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الجياني، ديوان الأحكام الكبرى(نوازل بن سهل)، ج1، تحقيق: فوزية محمّد عبد العزيز التويجري، ص1328. ينظر: القدوري سمير، الردود على ابن حزم بالأندلس من خلال مؤلفات علماء المالكية، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، المغرب، 1434هـ/2010م، ج2، ص: 283.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحمد أمين أن تفسير سيطرة المالكية على الساحة الفقهية بالأندلس يعود إلى: التعلّق العاطفي للمغاربة بالمدينة المنورة[14].

يقول الإمام أبوزهرة:" ...كانوا يجدون في ملازمة درس مالك مجاورة للرسول- صلى الله عليه وسلم- فأقبلوا عليه أيّما إقبال ولزموه أتمّ ملازمة"[15].فالمدينة المنورة كانت تمثل لأهل المغرب مركزا للتشريع، ففيها نزل الوحي، وإليها هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم- ومنها انتشر دين التوحيد.

3.1.2- إعجاب المغاربة بشخصية الإمام مالك: ورد في حديث النبي- صلى الله عليه وسلم-:" يوشك أن يضرب النّاس أكباد الإبل فيطلب العلم، فلا يجدون عالما أعلمُ من عالم المدينة"، قال سفيان بن عيينة:" كنّا نسمع أهل المدينة يقولون أنّه مالك بن أنس"[16].

- إن مذهب مالك أقرب لمزاجهم، فهو يعتمد على الحديث وعلى إجماع أهل المدينة، عكس المذهب الحنفي القائم على القياس والتعليل والعقل... فالمغاربة بطبعهم يحبّون أن يعيشوا البساطة والوضوح، وينفرون من كل ما هو غامض ومعقد[17]. وهذا الذي يفسّر لنا نفور أهل الأندلس وفقهاؤها من الجدل وعلم الكلام.

- المذهب المالكي جاء مسايرا لعقائد المغاربة باعتماد النّص والنقل والأثر والرواية أكثر من اعتماده الرأي والجدل ومراعاته لأعراف الناس وعاداتهم، فهو عملي أكثر منه نظري، لذلك وجد فيه المغاربة مرُونة وواقعية واستقاء جميع أصوله من النّص الشرعي، فاتبعوه وفضلوه على ما سواه، فصار عندهم عادة وفطرة لا تحتاج إلى دليل[18].

14- أحمد أمين، ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، دت، ج3، ص: 111.
15- محمّدأبو زهرة، المذاهب الإسلامية، دار الفكر، دت، 1934م، ص: 14.
16- عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي في المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، 1993م، ط1، ص ص: 30 و35.
17- محمد فاروق النبهان، أبحاث إسلامية في التشريع والفكر الحضاري، مؤسسة الرسالة، دت، دط، ص: 231.
18-الونشريسي: أبو العباس، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ج2، ص: 169. ينظر:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- توقف رحلة المغاربة في رحلتهم إلى حدود الحجاز، قال ابن خلدون:" ... لم يقلدوا غيره إلاّ في القليل لأن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم. والمدينة يومئذ، وشيخهم وإمامهم مالك... فرجع إليه أهلُ المغرب والأندلس وقلّدوه دون غيره ممّن لم تصل إليهم طريقته"[19]. ومن أهم العوامل الأخرى على ترسيخ المذهب المالكي في الأندلس:

4.1.2- موقف السلطة:

فهشام بن عبد الرحمان الداخل والذي تولى الإمارة الأموية الأندلسية سنة 172هـ، سيكون هو الذي أخذ النّاس في الأندلس بالتزام مذهب مالك وذلك خلال العقد الثامن من المائة الثانية للهجرة/الثامنة للميلاد، أي قبل وفاة الإمام مالك بقليل. وبلغ الأمر على عهد ابنه الحكم بن هشام أن اقتصر على ما رجّحه أبو القاسم تلميذ مالك من أقواله[20].

إلا أن هذه العوامل ليست كافية لتثبيت أمر المذهب بالأندلس لولا قدرة علماء وفقهاء المالكية على المواجهة والمقاومة لكل المذاهب والفرق المخالفة، فقد أبان فقهاء مالكية الأندلس على قدرات علمية عظيمة واتساع في الأفق عجيب، سمح لهم بمواجهة المخالفين بقوة الحجّة وبداهة المحجة.

5.1.2- غياب المذاهب المخالفة للمذهب المالكي:

فطبيعة تواجد المذاهب الفقهية هو الذي يحدّد طبيعة الجدل الفقهي، وقد اقتصر يومها على بعض التواجد المحتشم لبعض المذاهب الفقهية، يفيدنا القاضي عياض؛ أن ظهور مذاهب فقهية في الأندلس تنافس مذهب الإمام مالك لم يكن ممكنا، وأنه دخل الأندلس شيء من الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وداود بفضل بعض الرّحالين[21].

صحراوي خلواتي، أسباب انتشار المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، مجلة الفقه والقانون، المغرب، العدد 24، أكتوبر 2014م، ص: 3.

19- ابن خلدون: عبد الرحمان بن محمّد، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 568.

20- عبد القادر ربوح، المذهب المالكي بالأندلس من الظهور إلى عصر التمكين والسيادة، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجلفة، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 19، ص: 11.

21- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مالك، تحقيق: زمرة من العلماء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1403هـ/1983م، ج1، ص ص: 26و27.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6.1.2- موقف المالكية من الجدل وعلم الكلام:

قال أبو محمّد بن حزم :" وأما علمُ الكلام فإن بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم، ولا اختلفت فيها النّحل، فقّل لذلك تصرفهم في هذا الباب، فهي على كل حال عريةٌ عنه[22]...". يؤكد أبو محمّد من خلال ذلك إعراض وإعتراض أهل الأندلس وفقهائها على علم الكلام إقتداء بموقف عالم المدينة من علم الكلام، فليس ذلك لقصور فهمه أو قلة حيلته ولكن لكراهيته الجدل وأهله، فقد كان الإمام محبا للعمل وأهله. طبعا كان ذلك قريب عهد بالإسلام قلّت فيه التيارات الوافدة وضعفت فيه النحل المخالفة.

7.1.2- محدودية وسائل الجدل وبساطة مسائله.

غير أن الجدل الفقهي عرف نقلة نوعية خلال القرن 5هـ/10م من جدل الفروع إلى جدل الأصول متجدد الوسائل الذي امتزج الجدل من خلاله بعلم الكلام والمنطق وعلم الخلافيات[23]. وهذاالذي نلمسه في الجدل الفقهي في فترته الثانية. فمهد ذلك كله لنوع جديد من الجدل في الأندلس؛ هو الجدل العقدي أو الكلامي.

فالجدل الفقهي خلال هذه المرحلة لم يعدم توسيع مسائله وتجديد وسائله، سواء داخل المذهب الواحد أو مع المذاهب المخالفة. فماهي العوامل المساعدة على الانتقال من جدل الفروع إلى جدل الأصول ؟

2.2- التنوع المذهبي: يمكن تحديد المذاهب الفقهية الأكثر جدلا كالتالي:

1.2.2- المذهب المالكي:

أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس الغازي بن قيس على عهد إمارة عبد الرحمان الداخل(138هـ)، ثم أدخله كاملا منقّحا زياد بن عبد الرحمان المشهور بشبطون بعد عام من ولاية هشام بن عبد الرحمان، بعد أن سأله الإمام مالك عن مذهبه وحسن سيرته،

22- ابن حزم: أبومحمّد بن علي، رسائل ابن حزم، ج2، ص: 186. ينظر: التهامي إبراهيم، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السّنة والجماعة في مقاومة الانحرافات العقدية، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1996م، ص : 196.

23- يقول ابن حزم :" فالجدل في ميدان الفقه وأصوله يبقى عزيز الجانب لا يعدم المناصرة والتأييد، بقطع النظر عن التبرير، سواء اتجه المتجادلون إلى النقل من قرين أو حديث أو إلى العقل" . ابن حزم، أحكام الفصول في أحكام الأصول، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص: 94.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأخبره زياد عن مذهبه وحسن سيرته، فقال مالك: ليت الله زيّن بلدنا بمثله أو عبارة نحوها[24]. ففي أيام هشام بن عبد الرحمان، بدأ إنتشار المذهب المالكي في الأندلس إنتشارا واسعا بفضل الرعاية التي حظي بها من قبل السلطة السياسية.

2.2.2- المذهب الشافعي:

يعود دخول المذهب الشافعي إلى الأندلس إلى جماعة من كبار الفقهاءأشهرهم: الفقيه قاسم بن محمّد بن سيّار القرطبي[25]، قال ابن الفرضي:" ويبدو أن أول من أدخل مذهب الإمام الشافعي إلى الأندلس، الفقيه قاسم بن سيّار على أيام الأمير محمّد بن عبد الرحمان"[26]. إلا أن تواجد المذهب الشافعي في الأندلس كان محدودا، بسبب ميل بعض فقهائه إلى الاعتزال، ومن هؤلاء الفقيه بن عبد الوهاب بن يونس القرطبي فقد كان يميل إلى الإعتزال[27]والذي اجتهد في نشر المذهب داخل الأندلس[28].

3.2.2- المذهب الحنفي:

من خلال البحث في المصادر يتأكد ضعف تواجد المذهب الحنفي بالأندلس. فقد أورد المقدسي؛ أن مناظرة قامت على ما يبدو بين فقهاء المالكية وبعض الرجال الأحناف في حضرة أمير الأندلس هشام الرضا والذي تجاهل وجود أبي حنيفة ومذهبه من خلال قوله:"

24- ابن قوطية: أبوبكر، تاريخ إفتتاح الأندلس، ص: 65. ينظر: محمد بن حسين شرحبيلي، تطور المذهب المالكي حتى نهاية عهد المرابطين، المملكة المغربية، وزارة الشؤون الإسلامية، دط، 1421هـ/2000م، ص: 20.

25- قاسم بن محمد بن سيّار القرطبي: هو أحمد بن محمّد بن سيّار،من أهل العلم بالفقه، وله اختيارات فيه، يميل إلى مذهب عبد الله الشافعي، ويعرف بصاحب الوثائق. يُنظر: الضبي: أحمد بن يحي بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس(ت:599هـ)، تحقيق: روحية عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت،دت، ص: 390. ينظر أيضا:السبكي: طبقات الشافعية، ج3،تحقيق: عبد الفتاح محمّد الحلو، و محمود محمّد الطنجي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دت، ص: 344.

26- ابن الفرضي:عبدالله بن محمّد،تاريخ علماء الأندلس ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ج1،رقم (1409)، ص: 355.

27- عبد الرحمان يوسف عثمان،الأثر العقدي والسياسي في انقراض المذهب الفقهي بالغرب الإسلامي والأندلس، المرجع السابق، ص: 7.

28-الضبي: جعفر أحمد بن يحيى اللورقي(ت:599هـ/1203م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمان السويفي، بيروت، 1997م، ترجمة رقم(1189) ص: 331.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا: من الكوفة. قال: ومالك ؟ قالوا: من المدينة. قال: عالِمُ دار الهجرة يكفينا". ثم قال:" لا أحب أن يكون في عملي مذهبان"[29]. يبدو أن هذه الرواية بها وهْن ودخَن فلا يعقل أن أميرا مثل هشام الرضا لا علم له بشخصية مثل الإمام أبي حنيفة ! إلا إذا كان ذلك التساؤل يحمل بين طياته شيئا من التجاهل .!!! كما ذكر عياض في المدارك قولَه:" أن قوما من الرّحالة الغرباء أدخلوا شيئا من الشافعي وأبي حنيفة وأحمد وداود، فلم يتمكّنوا من نشره، فمات بموتهم"[30].

ومنه يتأكد التواجد الضعيف للمذهب الحنفي، ويمكن تفسير هذا التواجد المحدود بسبب السبق الزمني للمذهب المالكي ودعم السلطة السياسية له، إضافة إلى تبني الدولة العباسية للمذهب الحنفي وهي التي ناصبها بنو أمية بالأندلس العدَاء، ثم شبهة ميل بعض فقهاء الأحناف للفكر الاعتزالي والخارجي، والذي كان منبوذا ومكروها في الأندلس.

4.2.2- المذهب الظاهري:

هذا المذهب كان أكثر المذاهب الفقهية تواجدا ببلاد الأندلس، والذي دار عليه الجدل الفقهي مع مالكية الأندلس. ذلك أنه خالف أكثر أهل السنّة والجماعة في الأصول

حيث أبطل القياس ورد الإستحسان... ودعى إلى الوقوف عند حدود النّص دون تأويل ولا ترخيص. انتشر هذا المذهب بالأندلس عن طريق بعض تلامذة داود من أمثال عبد الله بن محمّد بن القاسم(ت:272هـ /885م)[31]، ويبقى ابن حزم أهم من نظّر لهذا المذهب درسا وتأليفا، ونافح عنه وجادل من أجله مالكية الأندلس.

3.2- من مسائل جدل الأصول :(مسألة القياس)

عرفت مسألة القياس جدلا واسعا بين فقهاء مالكية وظاهرية الأندلس، ممّا بعث على الجدل الحاد والمطول والإختلاف الموسع سواء على مستوى تحديد مدلوله أو تدقيق

29- محمّد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دت ط، دار صادر، بيروت، ج2، ص: 337.
30- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه محمّد سالم هشام، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998م، ص: 55.
31- محمّد ابراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب و الأندلس، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1962م، ص ص: 208و209. ينظر: الصراع المذهبي بين المالكية والظاهرية، المرجع السابق، ص: 5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

متصوره، أو تدعيم حجيته أو النظر في صلاحيته أو الخوض في ماهية وعلاقته بالمنطق اليوناني خاصة منطق أرسطو [32].

فالجدل القائم يومها على القياس، هو في أصله وجوهره، جدل فقهي يتمحور حول مصدر من مصادر التشريع الإسلامي[33]. وقد اعتبر القياس الأصولي في مرحلة لاحقة مصدرا من مصادر التشريع، وأخذ الجدل الفقهي حول مسألة القياس أبعاده من حيث أدلة ابن حزم في ذلك كله، وبيان ردود العلماء ومآخذهم عليه، ومن أشدّ علماء المالكية مناكفة لإبن حزم في المسألة خصمه ومعاصره أبي الوليد الباجي[34]

3-المرحلة الثانية: (نهاية ق4-5هـ/10-11م) الجدل العقدي:

1.3- ماهية الجدل العقائدي: هو:"الإستدلال على الإيمان بالعقل" وهو مرحلة الجدل في مسائل العقائد وخلال هذه المرحلة نشأ علم الكلام.[35] فقد ظل الجدل الكلامي ضعيفا إلى غاية هذه الفترة من تاريخ بلاد الأندلس، فالدولة الأموية المتهالكة في الشام، صحبت معها بعد سقوطها منهجها بعد قيامها في الأندلس، فظّلت دولة عربية إسلامية كما كانت، ولم يجد علم الكلام رواجا في الأندلس بناء على قلة المعتنين بالجدل العقدي والمشتغلين به، يقول ابن حزم:" وأما علم الكلام فإن بلادنا إن كانت لم تتجاوب فيه الخصوم، ولا اختلفت فيها النحل، فقّل لذلك تصرفهم في هذا الباب"[36]

32- الباجي: أبو الوليد، إحكام الفصول في أحكام الأصول، ج1، حقّقه ووضع فهارسه وقدّم له ووضع فهارسه: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1407هـ/1995م، ط2، مقدمة المحقق، ص: 29.

33- ابن حزم: أبو محمّد بن علي، الصادع في الرد على من قال بالقياس والرأي والتقليد والإستحسان والتعليل، قرأه وقدّم له وعلّق عليه وخرّج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، الدار الأثرية ، عمان، الأردن، 1429هـ/2008م، ط1، مقدمة المحقق، ص: 45

34- نفسه، مقدمة المحقق، ص ص: 7و8.

35-أحمد محمود صبحي، في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدّين، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ/1985م، ط5، ج2، الأشاعرة، ص: 15.

36- ابن حزم أبو محمّد بن علي، رسائل ابن حزم، ج2، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987م، ط2، ص: 186. ينظر : عبد الرحمان يوسف عثمان، الأثر العقدي والسياسي في انقراض المذهب الفقهي بالغرب الإسلامي والأندلس، الأكاديميةالإسلامية للطلبة جامعة ماليزيا، كولالمبور، مجلة الشريعة والقانون بماليزي،العدد 7، جوان 2017. ص119. Vol,7 ,n,1june 2019=issn,1985,7454,E,issn,2590,www.mjs.usim.my.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في القرن الخامس الهجري/الحادي عشرة الميلادي سيطر الجدل العقدي وتوسع علم الكلام بالأندلس، بحكم تراجع قبضة فقهاء المالكية بالأندلس. وتوسعت أبواب المعارف، وازداد التسامح بين مختلف المذاهب والنحل المخالفة. وبفضل ذلك توسّع الجدل الكلامي وخرج إلى العلن في وقت ضعفت فيه سياسة التضييق الفكري وسلطة الأمراء والفقهاء. وأضحت المسائل الكلامية مباحة بعد أن ظلّت من المحرمات والممنوعات عن الجدل، ففتحت كل المسائل للنقاش.

خلال هذه الفترة سيطر جدل الكلام في الأندلس، فتوسّعت دائرته إلى مسائل عقدية أدق وأعقد، تناولت قضايا كلامية عرفت في المشرق شدا ومدا.

2-3-أسباب توسع الجدل إلى عقائدي في الأندلس:

1.2.3- موقف السلطة السياسية الجديدة من الجدل الكلامي: عرفت هذه المرحلة من تاريخ الأندلس على عهد ملوك الطوائف تسامحا دينيا وحرية فكرية سمحت بالتلاقح الفكري والجدل بين مختلف التيارات العقدية المخالفة لأهل السنّة والجماعة وذلك بعد أن تقاطرت جموع المذاهب العقدية على بلاد الاندلس فانسلّ الدرس العقدي إلى الجدل علنا بعد أن ظل هذا الأمر مكتوما في الصدور.

2.2.3- توافد التيارات المذهبية المخالفة لأهل السنّة والجماعة:

إلى جانب التواجد المسبق لمذاهب أهل السنّة والجماعة[37].فماهي المذاهب العقدية الأكثر جدلا وتأثيرا في الأندلس ؟

أ- المعتزلة:

المعتزلة من أقدم الفرق دخولا إلى الأندلس وأكثرها تأثيرا جدلا وإثارة للمسائل الكلامية، فقد نشب جدلا حادا وشاقا بينها وبين المالكية والظاهرية من جهة ثانية. قال

37- أهل السنّة والجماعة:" هم أهل الحديث من المسلمين الذين اتفقوا على أصول العقيدة من توحيد الخالق، وقدم صفاته الأزلية، وجواز رؤيته من غير تشبيه ولا تعطيل، والإقرار بالرسل والكتب والبعث، وسؤال الملكين في القبر، وثبوت النبوات ووجوب الإمامة ، وترجع إختلافاتهم إلى الفروع". ينظر: عبد الحميد بن حمدة، المدارس الكلامية بإفريقيا إلى ظهور الأشعرية، مطبعة دار الغرب، ط1، 1406هـ/1986م. ص: 23.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن حزم أبو محمّد:" وقد كان فيهم قوم - يقصد أهل الأندلس- يذهبون إلى الإعتزال، نظارا في أصول الدين..." [38].

وهكذا يتأكد أن الأندلس قد عرفت الفكر الاعتزالي ومبادئه...القادم من المشرق، غير أن علماء وفقهاء المالكية واجهوا هذا الوافد العقدي الجديد بعنف...لأنه في نظرهم مجرد آراء من علم الكلام... يتعارض مع عقيدة أهل السلف..." [39].

ب- الخوارج: يبقى التواجد الخارجي محدودا بالأندلس وفق ما حملته المصادر، يقول ابو محمّد ابن حزم:" وتمذهب بعض الأندلسيين بمذهب الشافعي...، وجاء المذهب الخارجي مع بعض المهاجرين من إفريقية" ويقول أيضا:" وشهدت الإباضية عندنا بالأندلس... يحرمون طعام أهل الكتاب..."[40]. ومع ذلك لم تقفر الأندلس من أتباع المذهب الخارجي، حيث يشير بعض من الباحثين، أنّه تسرب منذ أوائل ق 2هـ/8م بعض خوارج العراق إلى الأندلس[41].

ج- الشيعة: اختلفت المصادر من حيث التواجد الشيعي بالأندلس. يقول شوقي ضيف:" ونستطيع أن نزعم أن الأندلس كانت محصّنة ضد التشيّع ودعاته" ويستشهد بقول المقدسي أنه في أواخر ق4 هـ" إن الأندلسيين إذا عثروا على متشيّع ربما قتلوه".[42] غير أن محمود علي مكى يري غير ذلك حيث يقول:"ويبدو أن أول من نقل شيئا من الثقافة الشيعية إلى الأندلس هو محمّد بن عيسى المعروف بالأعشى وقد رحل في سنة 179هـ إلى

38- ابن حزم: أبو محمّد بن علي، رسائل ابن حزم، ج2، المصدر السابق، ص: 186. ينظر: التهامي إبراهيم، جهود علماء أهل السنة والجماعة في مقاومة الإنحرافات العقدية، المرجع السابق، ص: 196.

39- أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 10. ص:7.

40- ابن حزم: أبو محمّد بن علي، الفصل في الأهواء والنحل، ج7، ص 124. ينظر: أبو عبيدة عبد الرحيم العطا محمّد، المذاهب العقدية في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دراسة وصفية تحليلية، أطروحة دكتوراه في العقيدة، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، كلية أصول الدين قسم العقيدة، 1432هـ/2011م، ص: 216.

41- نظرات في تاريخ المذهب المالكي، أسباب إنتشار المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، مجلة دعوة الحق، العدد 223، 1982م.

42- شوقي ضيف، تاريخ الأدب عصر الدول والإمارات بالأندلس، دار المعارف، القاهرة، دط.دت، ص: 54.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العراق مخالفا بذلك زملاءه الأندلسيين الذين كانوا في ذلك الوقت يترددون على المدينة للتفقه على مالك بن أنس وتلاميذه"[43].

غير أن ابن خلدون يذهب غير هذا المذهب إذ يذكر:" كانت الأدارسة لمّا استجلاهم الحاكم المستنصر من العودة إلى الشرق، ومحا أثرهم من سائر المغرب، واستقامت غمارة على طاعة المروانيين-الأمويين-وأذعنوا للجند الأندلسيين"[44].

د- الأشعرية: يبقى المذهب الأشعري من أكثر المذاهب إنتشارا ببلاد الغرب الإسلامي بما فيه الأندلس، وإن تأخر زمنيا مقارنة بالمذاهب السابقة. فقد اقترن إنتشاره بالقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ذلك أن الذين تأثروا به وبثّوه بالأندلس، محمّد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي(392هـ)[45].

يبقى الإمام الباجي من كبار رجالات الأشعرية والذي ظل يدافع عن الأشعرية في الأندلس. غير أن الرجل الذي كان له الدور الأكبر في نشر الأشعرية ببلاد الأندلس هو؛ أبو بكر ابن العربي والذي لقي أعظم تلاميذ الجويني؛ أبا حامد الغزالي(ت:505هـ)[46].
- إستفادة الجدل العقدي من وسائل الجدل الأصولي.

3.2.3- انتقال مسائل الجدل الكلامي من المشرق إلى بلاد المغرب الإسلامي.

إن هذا التنوع المذهبي المتناقض كان من أهم العوامل التي حملت فقهاء المالكية خاصة وأهل السنّة عامة على فتح باب الجدل الكلامي، ومواجهة تحديات المسائل

43- محمود علي مكى، التشيّع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، مكتبة الثقافيةالدينية، ط1، 1424هـ/2004م، ص: 16.

44- بن خلدون، عبد الرحمان، ديوان المبتدأ والخبر، ج 1، ص 455. ينظر: أبوعبيدة عبد الرحيم العطا محمّد، المذاهب العقدية في الأندلس في ق5هـ، المرجع السابق، ص 213. ينظر التشّيع في الأندلس: ابن حوقل: أبي القاسم ابن حوقل النصبي، صورة الأرض،كتاب المسالك والممالك، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م، دط، ص: 104وما بعدها.

45- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ج1، ص: 760، (رقم 760). ينظر: التهامي،جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة ومقاومة الإنحرافات العقدية، المرجع السابق، ص: 254. يقول الإمام الذهبي في ترجمته لأبي ذر الهراوي:" أخذ الكلام ورأي أبي الحسن عن أبي الطيب وبثّ ذلك بمكّة وحمله عنه المغاربة إلى المغرب والأندلس.." ينظر: سير أعلام النبلاء، ج17، ص:537.

46- التهامي إبراهيم، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة في مقاومة الإنحرافات العقدية، المرجع السابق، ص: 260.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العقدية التي أثارتها هذه المذاهب المخالفة والمناقضة لعقيدة أهل السنّة والجماعة فكان لزاما عليهم ردّ شبهات مسائلها جدلا ودرسا. فكل ذلك نشّط دائرة الجدل الكلامي بفضل وسائل الجدل الفقهي الأصولي. ومنه توسّعت دائرة الجدل من فقهي إلى كلامي فنقلت دائرة الجدل من جدل بيني إلى جدال مع الآخر.

3.3- بعض مسائل الجدل العقدي:

ومن بعض مسائله: مسألة أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- كتب: أو ما يعرف بتحقيق المذهب، وقد عرفت هذه المسألة جدلا كلاميا في جانبه العقائدي، في إعتقاد أن الرسول - صلى الله عليه وسلم- كتب. فقد ادعى الباجي أن النبي كتب، فرد عليه فقهاء عصره لمخالفته النّص. فقد أثارث مسألة كتب النبي والتي اجتهد الإمام الباجي لمّا تكلم في حديث كتابة النبي عصبية أئمة المذهب المالكي داخل وخارج الاندلس. وثار هؤلاء عليه لمّا خالف ما كان عليه فقهاء الأندلس وعلماء الأمة[47]. إن الجدل الكلامي مهد للجدل الفلسفي بفضل استعماله وسائل متجددة من علم الكلام والمنطق.

4- المرحلة الثالثة(ق 5-6هـ/11-12م) الجدل الفلسفي:

إن القرن السادس الهجري/الثاني عشرة الميلادي تحديدا، عرف جدلا فلسفيا محموما، فقد استفاد من مجريات الصراع الفكري في بلاد الأندلس خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشرة خصوصا، فحينها فتح باب النقاش لتحديد طبيعة العلاقة بين الشريعة والفلسفة في وقت ظل الفقهاء يعترضون على ممارسة الفلسفة. فشهدت هذه الفترة استحضارا وحوارا حول قضية الفلسفة والتي كان ينظر إليها إلى عهد قريب أنها درب من الكفر ويرمى صاحبها بالزندقة والخروج عن الملّة لأجل ذلك فهي ممنوعة من الممارسة والنقاش.

لذلك كله شهد القرن السادس الهجري/ الثاني عشرة الميلادي إقبالا ليس فقط على الفلسفة بل على قضايا فلسفية لها علاقة عميقة ببعض المسائل العقدية، وسيكون لابن طفيل وابن رشد الحفيد نشاطا فلسفيا في إثارة عديد من التساؤلات الفلسفية على عهد الموحدين. وسيكون لذلك كله تأثيراته على المحيط العلمي والجغرافي حينها وبعدها.

47- الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف، كتاب تحقيق المذهب، تحقيق: عبد الرحمان بن عقيل الظاهري، عالم الكتب للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1403هـ/1983م، ط1، ص: 122.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إستفاد هذا النوع من الجدل من وسائل الجدل الكلامي، والذي ظل محصورا ومنبوذا ومغيبا طوال القرون الماضية بالأندلس، إلى غاية النصف الثاني من ق 5هـ/11م واتسع نشاطه موسعا خلال ق 6هـ/12م. فشجع ذلك كله هذا النوع من الجدل على البروز والظهور.

4-1- العوامل المساعدة على الجدل الفلسفي:

1.1.4- موقف السلطة من الفلسفة والجدل الكلامي في الأندلس: فقد ظل النشاط الفلسفي في الأندلس متقطعا متذبذبا، طيلة عهد الولاة وردحا طويلا من العهد الأموي، فقد ظل أهلها بعد الفتح ، كما قال صاعد الأندلسي(ت:462هـ):" لا يُعنى أهلها بشئ من العلوم إلا بعلوم الشريعة وعلم اللغة، إلى أن توطّد المُلك لبني أمية بعد عهد أهلها بالفتنة فتحرك ذوي الهمم منهم لطلب العلوم"[48].

ويبقى أن نشير أن فترات دعم الفلسفة والتسامح مع أهلها ظل لفترات إستثنائية متقطعة مثل ما كان الحال على عهد ابن رشد الحفيد يروي المراكشي خبر أول إتصال له بأمير المؤمنين أبي يعقوب الموحدي وفي هذا يذكر :"...أنه عندما دخل عليه وجده وابن طفيل وحدهما، وبعد أن سأله عن اسمه واسم أبيه ونسبه، قال له: ما رأيكم في السماء؟ أقديمة هي أم حديثة؟ فأدرك ابن رشد الحياء والخوف، وأخذ يتعلّل وينكر اشتغاله بالفلسفة..." [49]

2.1.4- ميل بعض الساسة إلى الفلسفة: مثل أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، الذي أمر بجمع كتبها، فكاد أن يجمع له منها ما اجتمع للحكم المستنصر، فيما يروي المراكشي[50].

48- القاضي صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، نشره: الأب شيخو اليسوعي، بيروت، المكتبة الكاثوليكية، للآباء اليسوعيين، 1912م، ص: 61.

49- المقري: شهاب الدين أحمد بن محمّد (ت:1041هـ/1631م)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، دط، بيروت، 1968م، ج3، ص:185.

50- المراكشي:عبد الوهاب، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمّد العريان، 1963م، ص ص: 171و172.ينظر: الحسن البوزيدي، المحاضرات، الفلسفة بالغرب الإسلامي، المحاضرة 6-7، دص، المحور الرابع، دت، جامعة منتوري، قسنطينة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان ابن طفيل فيما يروي، واسطة خير بين أبي يوسف بن عبد المؤمن وجلة من علماء وفلاسفة ذلك العصر، الذين تلقوا التكريم من الخليفة. وابن طفيل هو الذي وكّله مهمة شرح كتب أرسطو إلى ابن رشد، تلبية لرغبة الخليفة بعد أن اعتذر منه لكبر سنّه[51].
يمكن القول أن الموقف المتشدّد الذي واجه به الفقهاء الفلسفة وعلم الكلام عموما، كان من وراء تأخير الجدل الفلسفي في الأندلس، ومنه ظلت دائرة الجدل ضيقة، يغلب عليها الجدل الفقهي وبعض من الجدل العقدي.

3.1.4- دور بعض الحركات الصوفية في تنشيط الجدل الفلسفي: خاصة مدرسة ابن مسرة وبعض المدارس الأخرى المتفرقة بالأندلس، فكان من عوامل إنتقالها ودخولها الأندلس جماعة من المعتزلة والباطنية[52].

- مع تسرب العقيدة الأشعرية إلى المحيط الفقهي والتي درج أصحابها على تقاليد كلامية، حيث حدث انفتاح على المنطق والفلسفة[53].

- إفلات بعض كتب الفلسفة من محارق المنصور، وإنتشارها سرا في الأندلس، بسبب الفتنة البربرية التي عصفت بقرطبة وتسببت في نهب مكتباتها أوائل القرن الرابع الهجري[54].

2.4- بعض مسائل الجدل الفلسفي ومنها: مسألة التوفيق بين الشريعة والحكمة: تعد مسألة محاولة التوفيق ما بين ماهو فلسفي وما هو ديني من أعقد المسائل الفلسفية التي حاول العديد من الفلاسفة والفقهاء تحقيقها. فقد سبق أبو الوليد ابن رشد الحفيد(595هـ) إلى هذه المسألة ببلاد الأندلس غيره من الفلاسفة من حيث طبيعة الطرح والمعالجة، فكانت محاولته أكثر تأثيرا وجلبا لإنتباه العلماء والفقهاء والفلاسفة المسلمين ممّا أحدث جدلا واسعا حول المسألة.

إن الجدلية الفلسفية التي ناقشها فلاسفة الأندلس هي" موقف ابن رشد الحفيد من الدين والفلسفة" هذا الموقف هو الميل إلى الفلسفة على حساب الدين، أي هل كان يرى

51- المراكشي: عبد الوهاب، المعجب، المصدر السابق، ص ص: 171و 172.
52- محمّد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية، المرجع السابق، ص: 259.
53- الحسن البوزيدي، المحاضرات، الفلسفة بالغرب الإسلامي، المحاضرة 6-7، د ص، المحور الرابعالمرجع السابق، د ص.
54- نفسه، المحاضرة6-7، د ص.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن الحق هو ما أدى إليه النظر الفلسفي ؟ فيجب إذن تفسير العقائد والحقائق التي جاء بها الوحي الإلهي على هذا الأساس.[55]

- خاتمة: ظل الجدل في الأندلس منذ بدايته (القرن الثالث إلى النصف الأول من القرن الرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين) أسير فروع المسائل لا يجرؤ الفقهاء على تجاوزها إلى جدل الأصول، فحال ذلك دون فتح باب الإجتهاد وكل ذلك بغية الحفاظ على جوهر الإسلام وعقائده. فضاقت دائرة الجدل الفقهي وغاب التجديد في وسائله. إلى حين تقاطر المذاهب الفقهية المخالفة للمالكية في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، فبدأت دائرته تتوسع فاضحى الجدل الفقهي متجدد المسائل متعدد الوسائل بعد إقحام المنطق وعلم الكلام في مناظرات العلماء وجدال الفقهاء.

كان لذلك كله ثمراته بالإنتقال بالجدل من دائرة فقه العبادات والمعاملات إلى جدل عقائدي أوسع مسّ بعض المعتقدات كجدل الأسماء والصفات،فاستفاد الجدل كظاهرة بارزة في الأندلس من تطور الإجتهاد الفقهي بانتقاله إلى الجدل العالي أو جدل الأصول. ومنه انتقل إلى جدل كلامي يدافع وينافح من خلاله أهل السنّة والجماعة على جوهر العقيدة في وجه المخالفين من التيارات الإسلامية الأخرى بداية من النصف الثاني من القرن الرابع والقرن الخامس الهجريين/العاشر والحادي عشرة الملاديين.. فانتقل أهل الجدل من الفقهاء والعلماء من جدل الظاهر إلى جدل الباطن وإلى مسائل الغيبيات، فرفعت معظم العوائق التي تعترض توسيع دائرة الجدل.

أصبح أهل الجدل أكثر جرأة على فتح كل المسائل الفقهية والعقدية للجرح والتعديل طيلة القرن الخامس الهجري والذي يليه. وخلال القرن السادس الهجري/الثاني عشرة الميلادي ارتقى الجدل إلى أوسع وأعمق من جدل عقدي إلى فلسفي يميز بين الفلسفة وعلم الكلام ويجادل في مسألة الحكمة وعلاقتها بالتنزيل. فتوسعت دائرة الجدل من ضيق إلى أوسع.

لقد انتهى هذا النوع من الجدل بالأندلس من مجرد صدام فكري أو هرطقة — كما كان ينظر إليه البعض- إلى أهم العوامل التي فتحت أبواب الإجتهادات في جميع المجالات سواء كانت دينية أو فلسفية إلى علمية. فمبدأ الشك أضحى أصل كل مسألة ممّا فتح

55- محمّد يوسف موسى، بين الدين والفلسفة لابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، مكتبة التقوى، ناشرون للطبع والنشر والتوسيع، طباعة دار العلم والمعرفة، القاهرة، طبعة جديدة، 2019م، ص: 7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبواب النقاش والذي انتهى بعضها بنتائج مثمرة، وللأسف لم يستفد المسلون من كل ذلك واستفاد منه الغرب المسيحي فأسس من خلاله نهضته العلمية والتي أضحت اليوم وسيلة للتحكم في رقاب العالم الإسلامي. فهذا هو الجدل الذي رفضه بعضهم للأسف.

المصادر و المراجع:

1- ابن خلدون: عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، ج3،تحقيق: عبد الواحد وافي، إشراف داليا إبراهيم، دار النهضة، مصر للنشر، 2013م، طبعة منقحة، ط 9.

2-ابن خلدون : عبد الرحمان، ديوان المبتدأ والخبر، ج1، ط4، دت.

3- ابن حزم: أبو محمّد علي بن محمّد، الإحكام في أصول الحكام، ج1، تحقيق: الشيخ محمّد شاكر، دت، دت.

4- ابن حزم :أبو محمّد علي، الصادع في الرد على من قال بالقياس والرأي والتقليد والإستحسان والتعليل، قرأه وقدّم له وعلّق عليه وخرّج أحاديثه وآثاره: أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، الدار الأثرية، عمان، الأردن، 1429ه /2008م، ط1.

5- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1429ه ، /2008م، ط1.

6- ابن سهل: أبو الأصبع عيسى ، ديوان الأحكام الكبرى (نوازل بن سهل)، ج1، تحقيق: يحي داود، دار الحديث، القاهرة، 1429ه /2007م.

7- أحمد أمين، ظُهور الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، دت ط، ج3..

8- آسيا الكنّوني، مدخل الى المناظرات بالغرب الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإسلامية، الرباط..BIBLID.113.8571723.2016.59.60

9-أبوعبيدة عبد الرحيم العطا محمّد، المذاهب العقدية في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دراسة وصفية تحليلية، أطروحة دكتوراه في العقيدة، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا كلية أصول الدين قسم العقيدة، 1432ه /2011م.

10- أحمد محمود صبحي، في علم الكلام دراسة فلسفية في أصول الدّين،دار النهضة العربية، بيروت، 1405ه /1985م، ط5، ج2، الأشاعرة.

11- الباجي:أبو الوليد سليمان الباجي بن خلف، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م، ط2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

12-الباجي:أبو الوليد سليمان الباجي بن خلف،كتاب تحقيق المذهب ، تحقيق: عبد الرحمان بن عقيل الظاهري، عالم الكتب للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1403هـ/1983م، ط1.

13- التهامي إبراهيم، علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة في مقاومة الإنحرافات العقدية، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1996م.

14- الضبي :جعفر أحمد بن يحي اللورقي (ت:599هـ/1203م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمان السويفين بيروت، 1997م، ترجمة رقم(1189).

15- الطوخي: سليمان بن عبد القوي نجم الدين الحنبلي(ت716هـ/1316م)، علم الجدل في علم الجذل، ج32،تحقيق: فولفهانت هاينريشس، دار فرانز شتاينز،بمساعدة مؤسسة الأبحاث العلمية الألمانية، بيروت، مطبعتكم، عمان، الأردن، 1408هـ / 1987م.

16- الغزالي أبو حامد، المنتخل في الجدل، قدّم له وحقّقه وخرّج نصّه: علي بن عبد الله العزيز بن علي العميريني، جامعة الملك سعود، كلية التربية، دار الوراق، ، 1424هـ/20004م، ط1.

17- المقري: أحمد بن محمّد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، ج2، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997م، دط.

18- المقري: أحمد بن محمّد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، ج2،تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997م،دط.

19- المراكشي، أخبار المغرب، تحقيق: محمد العريان، 1963م.

20- المقدسي محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج2، دار صادر، بيروت، دت، دط.

21-الونشريسي: أبو العباس، المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج2 تحقيق: محمّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط.

22- سير أعلام النبلاء، الجزء 17-18.

23- شوقي ضيف، تاريخ الأدب عصر الدول والإمارات بالأندلس، دار المعارف، القاهرة، دط،دت.

24- صحراوي خلواتي، أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي، مجلة الفقه والقانون،المملكة المغربية،العدد 24، أكتوبر 2014م.

25- عبد الحميد بن حمدة، المدارس الكلامية بإفريقيا إلى ظهور الأشعرية، مطبعة دار الغرب، 1468هـ/1986م، ج2 ، ط1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

26- عبد القادر ربّوح، المذهب المالكي بالأندلس من الظهور إلى عصر التمكين والسيادة، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجلفة، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد19.

27-عبد المجيد التركي، مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ/1994م، ط4-

28- محمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج2، دار صادر، بيروت، دط، دت.

29- محمّد أبو زهرة، المذاهب الإسلامية، دار الفكر، دط، 1934م.

30- محمّد يوسف موسى، بين الدين والفلسفة بين ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، طباعة دار العلم والمعرفة، القاهرة، طبعة جديدة، 2019م.

31- محمد فاروق النبهاني، أبحاث إسلامية في التشريع والفكر الحضاري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، دت، دط.

32- محمد بن حسين شرحبيلي، تطور المذهب المالكي حتى نهاية عهد المرابطين، المملكة المغربية، وزارة الشؤون الإسلامية، 1421هـ/2000م، د.ط.

33- محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب الإسلامي والأندلس، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1962م.

34- محمود علي مكي، التشيّع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1424هـ/2004م.

35- مسعود فلوسي، الجدل عند الأصوليين، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2000م.

36- نظرات في تاريخ المذهب المالكي،أسباب انتشار المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، مجلة دعوة الحق، العدد223، دت، ط1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com